

سلسلة التذير
(٨)

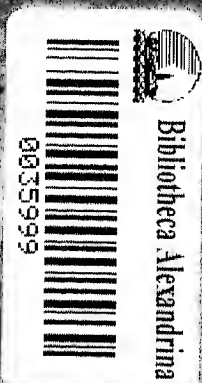
٢ رس

أصول جامعة نافع في

البلاء والايلاء

لابن قسيم الجوزية

أعدّه وصبّطه وعلق عليّ
أبو محمد أسرف بن عبد الله صوّد



سلسلة النذير

٨

أصول جامعة نافعة في

العبادة والاعتلاء

لابن قسيم الجوزية

أعدّه وضبطه وعلق عليه

أبو محمد أئسف بن عبد الفصود

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

مكتبة طبرستان

الرياض - النسيم - تلفون ٢٣٢١٠٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الإمام العلامة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن
أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية بعد كلام له سبق في « إغاثة
اللهفان في مصايد الشيطان »^(*) : وتام الكلام في هذا المقام
العظيم يتبين بأصول نافعة جامعة :

﴿ الأصل الأول ﴾

□ أن ما يصيبُ المؤمنين من الشرور والمحن والأذى دون
ما يصيبُ الكفار ، والواقعُ شاهد بذلك ، وكذلك ما يصيب
الأبرار في هذه الدُّنيا دون ما يصيب الفجار والفُسَّاق والظُّلُمة
بكثير .

* * *

(*) اعتمدت على طبعة السنة المحمدية بتحقيق الشيخ محمد حامد
الفقهي .

﴿ الأصل الثاني ﴾

□ أن ما يصيب المؤمنين في الله تعالى مقرون بالرضا والاحتساب ، فإن فاتَهُم الرِّضا فمَعَوْلَهُم على الصَّبْر ، وعلى الإِحتساب ، وذلك يخفف عنهم ثقل البلاء ، ومؤنته ، فإنهم كلما شاهدوا العِوض هان عليهم تحمل المشاقِّ والبلاء ، والكفار لا رضا عندهم ولا احتساب ، وإن صبروا فكصبر البهائم .

وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤] .

* * *

(١) والمعنى كما قال ابن القيم في زاد المعاد (٣ - ٢٢٢) : « فما بالكم تهلون وتضعفون عند الفرح والألم ، فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان ، وأنتم أصبتم في سبيل وابتغاء مرضاتي » .

وراجع الكلام على حكمة الابتلاء بما لا تراه في مكان آخر في زاد المعاد (١٢٨/٣ : ٢٤٠) في فصل ذكر بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد .

﴿ الأصل الثالث ﴾

□ إن المؤمن إذا أودى في الله فإنه محمول عنه بحسب طاعته وإخلاصه ووجود حقائق الإيمان في قلبه ، حتى يحمل عنه من الأذى ما لو كان شيء منه على غيره لعجز عن حمله ، وهذا من دفع الله عن عبده المؤمن ، فإنه يدفع عنه كثيراً من البلاء ، وإذا كان لابد له من شيء منه دفع عنه ثقله ومؤنته ومشقته وتبعته .

* * *

﴿ الأصل الرابع ﴾

□ إن المحبة كلما تمكنت في القلب ورسخت فيه ، كان أذى المحب في رضى محبوبه مُستحلى غير مسخوط ، والمحبوبون يفتخرون عند أحبابهم ، بذلك حتى قال قائلهم :

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة
لقد سرّنى أني خَطَرْتُ ببالك

فما الظنّ بمحبة المحبوب الأعلى ، الذى لحبيبه رحمة
منه له وإحسان إليه .

* * *

﴿ الأصل الخامس ﴾

□ أن ما يصيبُ الكافرَ والفاجرَ والمنافقَ من العز والنصر
والجاه ، دون ما يحصلُ للمؤمنين بكثير ، بل باطن ذلك ذلٌّ
وكسر وهوان ، وإن كان فى الظاهر بخلافه .

قال الحسنُ - رحمه الله - : « إنهم وإن هَمَلَجَتْ بهم
البراذين وَطَقَطَقَتْ بهم البغال إن ذلَّ المعصية لفى قلوبهم ،
أبى الله إلا أن يُذلَّ مَنْ عصاه » (١) .

...

(١) وأورده ابن القيم فى روضة المحبين أيضاً ص ١١٣ ، وابن رجب
فى الحكم الجديرة بالإذاعة ص ٣٦ . هملجت : مشية الهملجة حسن
سير الدابة فى سرعة .

﴿ الأصل السادس ﴾

□ أن ابتلاء المؤمن كالدواء له يَسْتُخْرَجُ منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته ، أو نقصت ثوابه ، وأنزلت درجته ، فيستخرجُ الابتلاءُ والامتحان منه تلك الأدواء وَيَسْتَعِدُّ به لتمام الأجر ، وعلوَّ المنزلَةِ ، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه ، كما قال النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم :

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقْضِي اللهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءٌ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ ، وليس ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » (١) .

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) (٦٤) من حديث صهيب بلفظ :
« عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ... » الحديث .

وهو في المسند (١٨٤/٣ ، ٢٤/٥) من حديث أنس مختصرًا بلفظ : « عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ لَا يَقْضِي اللهُ لَهُ شَيْئًا إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ » وإسناده صحيح .

فهذا الابتلاء والامتحان من تَمَام نصره ، وعزه وعافيته ،
ولهذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأقرب إليهم
فالأقرب ، يُتَلَى المرء على حسب دينه ، فإن كان فى دينه
صلابة شُدّد عليه البلاء ، وإن كان فى دينه رِقَّة خُفّف عنه ،
ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشى على وجه الأرض وليس
عليه خطيئة .

* * *

﴿ الأصل السابع ﴾

□ أن ما يصيبُ المؤمن فى هذه الدّار من إدالة عَدُوّه عليه ،
وغلبته له ، وأذاه له فى بعض الأحيان : أمرٌ لازم ، لا بد منه ،
وهو كالحرّ الشديد ، والبرد الشّدِيد ، والأمراض والهموم
والغموم ، فهذا أمر لازم للطبيعة والنشأة الإنسانية فى هذه
الدار ، حتى للأطفال ، والبهاائم ، لما اقتضته حكمة أحكم
الحاكمين ، فلو تجرد الخير فى هذا العالم عن الشرّ ، والنفع
عن الضرّ ، واللذة عن الألم ، لكان ذلك عالمًا غير هذا ،
ونشأة أخرى غير هذه النشأة ، وكانت تُفوت الحكمة التى

مزج لأجلها بين الخير والشر ، والألم واللذة والنافع والضار ،
 وإنما يكون تخليصُ هذا من هذا ، وتمييزه في دار أخرى ،
 غير هذه الدار ، كما قال تعالى : ﴿ لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ
 الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَقَضَةً عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا
 فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٧] .

* * *

﴿ الأصل الثامن ﴾

□ أن ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم ، وفقرهم ،
 وكسرهم لهم أحياناً فيه حكمة عظيمة ، لا يعلمها على
 التفضيل إلا الله عز وجل .

فمنها : استخراج عبوديتهم وذللهم لله ، وانكسارهم له ،
 وافتقارهم إليه ، وسؤاله نصرهم على أعدائهم ، ولو كانوا دائماً
 منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشيروا . ولو كانوا دائماً
 مقهورين مغلوبين منصوراً عليهم عدوهم لما قامت للدين
 قائمة ، ولا كانت للحق دولة فافتضت حكمة أحكم
 الحاكمين أن صرّفهم بين غلبهم تارة ، وكونهم مغلوبين تارة .

فَإِذَا غَلِبُوا تَضَرَّعُوا إِلَى رَبِّهِمْ ، وَأَتَابُوا إِلَيْهِ ، وَخَضَعُوا لَهُ ،
وَانْكَسَرُوا لَهُ ، وَتَابُوا إِلَيْهِ ، وَإِذَا غَلِبُوا أَقَامُوا دِينَهُ وَشَعَائِرَهُ ،
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَجَاهَدُوا عَدُوَّهُ ،
وَتَصَرَّوْا أَوْلِيَائِهِ .

ومنها : أنهم لو كانوا دائماً منصورين ، غاليين ، قاهرين ،
لدخل معهم مَنْ مِنْ لَيْسَ قَصْدُهُ الدِّينَ ، وَتَابِعَةُ الرِّسُولِ . فَإِنَّهُ
إِنَّمَا يَنْصَافُ إِلَى مَنْ لَهُ الْعَلَبَةُ وَالْعِزَّةُ ، وَلَوْ كَانُوا مَقْهُورِينَ
مَغْلُوبِينَ دَائِمًا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ أَحَدٌ . فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ
أَنْ كَانَتْ لَهُمُ الدَّوْلَةُ تَارَةً ، وَعَلَيْهِمْ تَارَةٌ . فَيَتَمَيَّزُ بِذَلِكَ بَيْنَ مَنْ
يُرِيدُ اللَّهَ وَرِسُولَهُ ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ مَرَادٌ إِلَّا الدُّنْيَا وَالْجَاهُ .

ومنها : أنه سبحانه يُحِبُّ مَنْ عَابَدَهُ تَكْمِيلَ عِبُودِيَّتِهِمْ عَلَى
السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَفِي حَالِ الْعَافِيَةِ وَالْبَلَاءِ ، وَفِي حَالِ إِدَاتِهِمْ
وَالْإِدَالَةِ عَلَيْهِمْ فَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى الْعِبَادِ فِي كُلِّمَا الْخَالِينَ عِبُودِيَّةً
بِمَقْتَضَى تِلْكَ الْحَالِ . لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِهَا ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْقَلْبُ
بِدُونِهَا ، كَمَا لَا تَسْتَقِيمُ الْأَبْدَانُ إِلَّا بِالْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَالْجُوعِ
وَالْعَطَشِ ، وَالتَّعَبِ وَالنَّصَبِ ، وَأَضْدَادِهَا . فَتِلْكَ الْمَحَنُ
وَالْبَلَايَا شَرْطٌ فِي حَصُولِ الْكَمَالِ الْإِنْسَانِيِّ وَالِاسْتِقَامَةِ الْمَطْلُوبَةِ
مِنْهُ ، وَوُجُودِ الْمَلْزُومِ بِدُونِ لَازِمِهِ مَمْتَنِّعٌ .

ومنها : أن امتحانهم بإزالة عدوهم عليهم يُمحصهم ،
ويخلصهم ويهذبهم . كما قال تعالى في حكمة إدالة الكفار على
المؤمنين يَوْمَ أَحَدٌ : ﴿ وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ
مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلِيَمَحْصَ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ . أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ
وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ . وَلَقَدْ
كُنْتُمْ ثَمَنُونَ الْمَوْتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ . وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ
فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

[آل عمران : ١٣٩ - ١٤٤]

فذكر سبحانه أنواعاً من الحكم التي لأجلها أدب عليهم
الكفار ، بعد أن ثبتهم وقواهم وبشرهم بأنهم الأعلون بما أعطوا
من الإيمان ، وسلاهم بأنهم وإن مسهم القرخ في طاعته وفي
طاعة رسوله فقد مس أعداءهم القرخ في عداوته وعداوة
رسوله .

ثم أخبرهم أنه سبحانه بحكمته يجعل الأيام دُولاً بين الناس .
 فيصيبُ كلَّاً منهم نصيبه منها . كالأرزاق والآجال .

ثم أخبرهم أنه فعل ذلك ليعلم المؤمنين منهم ، وهو سبحانه
 بكلِّ شيءٍ عليم قبل كونه وبعد كونه ، ولكنه أراد أن يعلمهم
 موجودين مُشاهدين فيعلم إيمانهم واقعاً .

ثم أخبر أنه يُحبُّ أن يتَّخذ منهم شهداء ، فإن الشَّهادة
 درجة عالية عنده ، ومنزلة رفيعة لا تُنال إلا بالقتل في سبيله ،
 فلولاً إدالة العدوِّ لم تحُصل درجةُ الشهادة التي هي من أحبِّ
 الأشياءِ إليه ، وأنفعها للعبد .

ثم أخبر سبحانه أنه يريد تُمحيص المؤمنين ، أى تَحْلِيصهم
 من ذُنُوبهم بالتَّوبة والرُّجُوعِ إليه واستغفاره من الذَّنُوب التي
 أدل بها عليهم العدو ، وأنه مع ذلك يريد أن يَمَحَقَ الكافرين
 بغيهم وطغيانهم ، وعُدوانهم إذا انتصروا .

ثم أنكر عليهم حُسبانهم وظَنهم دخول الجنة بغير جهاد
 ولا صبر . وأنَّ حِكْمَتَهُ تَأْبَى ذلك . فلا يدخلونها إلا بالجهاد
 والصبر ، ولو كانوا دائماً منصورين غالبين لما جَاهَدَهُمْ أحد
 ولما ائْتَلَوْا بما يصرون عليه من أذى أعدائهم .

فهذا بعض حِكْمِهِ فِي نَصْرَةِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِم ، وَإِدَالَتِهِ فِي
بعض الأحيان .

❦ ❦ ❦

❦ الأصل التاسع ❦

□ أنه سبحانه وتعالى إنما خلقَ السمواتِ والأرضَ وخلقَ
الموتَ والحياةَ وزين الأرضَ بما عليها لابتلاء عباده
وامتحانهم ، ليعلم من يريدُه ويريد ممن عنده ممن يريدُ
الدنيا وزينتها .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي
سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا ﴾ [هود : ١٧] .

وقال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف : ١٧] .

وقال : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَبِّئُوكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبِّئُوكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبِّئُوا أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ١ - ٣] .

فالناس إذا أرسل إليهم الرُّسل بين أمرين ، إمَّا أن يقول أحدهم : آمنتُ ، أو لا يؤمن ، بل يستمرُّ على السيئات والكفر ، ولا بدَّ من امتحان هذا وهذا .

فأما من قال : آمنتُ فلا بدَّ أن يمتحنه الرَّب ويبتليه ، ليتبين : هل هو صادق في قوله ، آمنت ، أو كاذب ؟ فإن كان كاذبًا رجَّع على عقبه ، وقرَّ من الامتحان ، كما يفرَّ من عذاب الله ، وإن كان صادقًا ثبت على قوله ، ولم يزدْه الابتلاء . الامتحان إلا إيمانًا على إيمانه : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ لأَحْزَابٍ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتُسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

وأما من لم يؤمن ، فإنه يُمتحن في الآخرة بالعذاب ، ويُفتن به ، وهى أعظم المحنتين ، هذا إن سلم من امتحانه بعذاب الدنيا ومصائبها ، وعقوبتها التى أوقعها الله بمن لم يتبع رسله وعصاهم ، فلا بد من المحنة فى هذه الدار وفى البرزخ ، وفى القيامة لكل أحد ، ولكن المؤمن أخف محنة وأسهل بليّة . فإن الله يدفع عنه بالإيمان . ويخيل عنه به ويرزقه من الصبر والثبات والرضى والتسليم ما يهون به عليه محنته . وأما الكافر والمنافق والفاجر فتشتد محنته وبليّته وتدوم ، فمحنة المؤمن خفيفة منقطعة ، ومحنة الكافر والمنافق والفاجر شديدة متصلة .

فلا بد من حصول الألم والمحنة لكل نفس ، آمنت أو كفرت ، لكن المؤمن يحصل له الألم فى الدنيا ابتداءً ، ثم تكون له عاقبة الدنيا والآخرة . والكافر والمنافق والفاجر ، تحصل له اللذة والنعم ابتداءً ، ثم يصير إلى الألم ، فلا يطمع أحد أن يخلص من المحنة والألم ألبة بوضحه :

﴿ الأصل العاشر ﴾

□ وهو أنَّ الإنسان مَدْنِي بالطَّبع ، لا بد له أن يعيشَ مع الناس ، والناس لهم إراداتٌ وتصوّرات ، واعتقادات ، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها فإن لم يوافقهم آذوه وعذبه ، وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب من وجهٍ آخر ، فلا بدّ له من الناس ومخالطتهم ، ولا ينفك عن موافقتهم أو مخالفتهم . وفي الموافقة ألمٌ وعذاب ، إذا كانت على باطل ، وفي المخالفة ألمٌ وعذاب ، إذا لم يُوافق أهواءهم واعتقاداتهم وإرادتهم ، ولا ريب أن ألم المخالفة لهم في باطلهم أسهل وأيسرُ من الألم المترتب على موافقتهم .

واعتبر هذا بمن يطلبون منه الموافقة على ظلم أو فاحشة أو شهادة زور أو المعاونة على محرّم . فإن لم يوافقهم آذوه وظلموه وعادوه ، ولكن له العاقبة والنصرة عليهم إن صبر واتقى وإن وافقهم فراراً من ألم المخالفة أعقبه ذلك من الألم أعظم مما قرّ منه ، والغالب أنهم يُسلّطون عليه ، فينال من الألم منهم أضعاف ما ناله من اللذة أولاً بموافقتهم .

فمعرفة هذا ومراعاته من أنفع ما للعبد ، فالْم يسير يُعَقَّبُ
لذةً عظيمة دائمة أولى بالاحتمال من لذة يسيرة تُعَقَّبُ أَلْمَا
عظيماً دائماً ، والتوفيق بيد الله .

❦ ❦ ❦

❦ الأصل الحادى عشر ❦

□ أن البلاء الذى يُصِيبُ العبدَ فى الله لا يخرجُ عن أربعة
أقسام . فإنه إما أن يكون فى نفسه ، أو فى ماله ، أو فى
عِرْضه ، أو فى أهله وَمَنْ يُحِبُّ .

والذى فى نفسه قد يكون بَتْلَفِها تارةً ، وبَتَأْلَمِها بدون
التَّلَف ، فهذا مجموع ما يُتَتَلَى به العبد فى الله .

وأشد هذه الأقسام : المصيبةُ فى النفس .

ومن المعلوم : أن الخلق كلهم يموتون ، وغاية هذا
المؤمن أن يستشهد فى الله ، وتلك أشرف المواتِ
وأسهلها ، فإنه لا يجد الشهيد من الأَلَمِ إلا مثل أَلَمِ القَرْصَةِ ،
فليس فى قتل الشهيد مصيبة زائدة على ما هو مُعتاد لبني آدم .

فمن عَدَّ مصيبة هذا القتل أعظم من مصيبة الموت على الفراش ، فهو جاهل ، بل موْتُ الشهيد من أيسرِ المِيتات وأفضلها ، وأعلاها . ولكن الفارَّ يظنُّ أنه بفراره يطول عمره ، فيتمتع بالعيش ، وقد أكذب الله سبحانه هذا الظنَّ ، حيث يقول : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ قَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب : ١٦] .

فأخبر الله أن الفرار من الموت بالشهادة لا ينفع ، فلا فائدة فيه ، وأنه لو نفع لم ينفع إلا قليلا ، إذ لا بدَّ له من الموت ، فيفوته بهذا القليل ما هو خير منه وأنفع : من حياة الشهيد عند ربه . ثم قال : ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ١٧] .

فأخبر سبحانه أنَّ العبدَ لا يعصمه أحد من الله ، إن أراد به سوءًا غيرَ الموت الذي قرَّر منه ، فإنه قرَّر من الموت لَمَّا كان يسوءه ، فأخبر الله سبحانه أنه لو أراد به سوءًا غيرَه لم يعصمه أحد من الله ، وأنه قد يفرَّ مما يسوءه من القتل في سبيل الله . فيقع فيما يسوءه مما هو أعظم منه .

وإذا كان هذا في مصيبة النفس ، فالأمر هكذا في مصيبة المال والعرض والبدن ، فإن مَنْ بَخِلَ بماله أن يُنْفِقَه في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته سَلَبَه الله إياه ، أو قَيَّضَ له إنفاقه فيما لا ينفعه دنيا ولا أخرى ، بل فيما يعود عليه بمضرته عاجلا وآجلا ، وإن حبسه وادخره منعه التمتع به ، ونقله إلى غيره فيكون له مَهْنَوُه وعلى مُخْلَفِه وِرْزُهُ ... وكذلك من رَفَّه بَدَنُه وعَرَضُه وآثر راحته على التعب لله وفي سبيله ، أتعبه الله سبحانه أضعاف ذلك في غير سبيله ومرضاته ، وهذا أمر يعرفه الناس بالتجارب .

قال أبو حازم : « لَمَّا يَلْقَى الذِي لَا يَتَّقِي اللَّهَ مِنْ مُعَالَجَةِ الْخَلْقِ أَعْظَمُ مِمَّا يَلْقَى الذِي يَتَّقِي اللَّهَ مِنْ مُعَالَجَةِ التَّقْوَى » (١) .

واعتبر ذلك بحال إبليس . فإنه امتنع من السجود لآدم فرأى أن يخضع له وَيَذَلْ ، وطلب إعزاز نفسه ، فصَيَّرَه الله أذَلَّ الْأَذَلِّينَ ، وجعله خادماً لأهل الفُسُوقِ والفُجُورِ من ذُرِّيَّتِه ، فلم يَرْضَ بالسجود له ، ورضى أن يَخْدُمَ هو وبنوه فُسَّاقُ ذُرِّيَّتِه .

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٤٥/٣) .

وكذلك عُبَادُ الأصنام . اُنْفُوا أَنْ يَتَّبِعُوا رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ ،
وَأَنْ يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا سَبْحَانَهُ ، وَرَضُوا أَنْ يَعْبُدُوا آلِهَةً مِنَ
الْأَحْجَارِ .

وكذلك كُلُّ مَنْ امْتَنَعَ أَنْ يَذِلَّ لِلَّهِ ، أَوْ يَبْذِلَ مَا لَهُ فِي
مَرْضَاتِهِ ، أَوْ يَتَعَبَّ نَفْسَهُ وَبَدَنَهُ فِي طَاعَتِهِ ، لَا بَدَأَ أَنْ يَذِلَّ لِمَنْ
لَا يَسْوَى ، وَيَبْذِلَ لَهُ مَالَهُ ، وَيَتَعَبَّ نَفْسَهُ وَبَدَنَهُ فِي طَاعَتِهِ
وَمَرْضَاتِهِ ، عَقُوبَةً لَهُ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : « مَنْ امْتَنَعَ أَنْ
يَمْشِيَ مَعَ أَخِيهِ خُطُواتٍ فِي حَاجَتِهِ أَمْشَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَكْثَرَ مِنْهَا
فِي غَيْرِ طَاعَتِهِ » .

* * *

صدر حديثاً ... من منشوراتنا

سلسلة النذير

سلسلة منتقاة .. مضبوطة .. مخرجة الأحاديث

صدر منها حتى الآن :

□ للحافظ ابن قيم الجوزية :

- ١ - كيف تنجو من السحر والحسد والعين .
- ٢ - ما يعتصم به الإنسان من الجن والشيطان .
- ٣ - مداخل الشيطان لإفساد البشر .
- ٤ - ذمُّ الهوى وما في مخالفته من نيل المنى .
- ٥ - صفات المتأفقين وذم التفاق وأهله .
- ٦ - ولا تقربوا الزنا .
- ٧ - الغربة والغرباء .
- ٨ - البلاء والإبتلاء .

□ للشيخ أنى بكر الجزائري :

- ٩ - الطريق إلى الجنة .
- ١٠ - المسلم الحق .
- ١١ - إلى اللاعبين بالنار «ذمُّ الرباء» .

صدر حديثاً .. من منشوراتنا
سلسلة «فاعلم أنه لا إله إلا الله»
منتقاة .. مضبوطة .. مخرّجة الأحاديث

□ صدر منها حتى الآن :

- ١ - الأصول الثلاثة وأدلتها - للشيخ محمد بن عبد الوهاب .
- ٢ - تطهير الجنان . للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي .
- ٣ - تطهير الاعتقاد . للصنعاني .
- ٤ - التوحيد . لابن حميد .
- ٥ - أنواع الشرك . لابن قيم الجوزية .
- ٦ - الوساطة بين الحق والخلق . لابن تيمية .
- ٧ - حكم موالاة أهل الإشراك . للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب .
- ٨ - مسائل الجاهلية . للشيخ محمد بن عبد الوهاب .
- ٩ - إعلام المسلمين بكفر من سبّ الدين . لأبي محمد أشرف بن عبد المقصود .
- ١٠ - منهج الأشاعرة في العقيدة . لسفر الحوالي .
- ١١ - الكتاب والسنة عقيدة ومبادئ . للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق .
- ١٢ - إنصاف التصوف . للشيخ الإسلام ابن تيمية .



توزيع مؤسسة الجريسي

الرياض : ت ٤٠٢٢٥٦٤ • جدة : ت ٦٨٢٦١٠٥
الدمام : ت ٨٢٧١٨١١ • المدينة : ت ٨٣٨٠٥٢٩
القصيم : ت ٣٦٤٤٣٦٦ • أبها : ت ٢٢٢٠٤٨٥

هذه الرسالة

قال الله تعالى : ﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ .

وقال : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ
وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ .

وفي الحديث : « إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ
اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ
سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ » [رواه الترمذی بإسناد حسن] .

فإلى المبطلين الصادقين !!

إلى المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله فصبروا على الأذى

والإبتلاء في نشر الإسلام !!

إلى الثابتين في المحن والشدائد !!

كانت هذه الرسالة .